المدرسة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

لا شك عندى فى أن كل من تناول بالتفكير بعض المشاكل الاجتماعية ، لابد يسلم أن أساس التفاهم الحق بين أبناء الأمة الواحدة هو التعليم الموحَّد . فلقد شهدنا ظروفاً لم يفرق فيها اختلاف التعليم ، واختلاف طرائقه وأساليبه بين لهجة ابن مصر العليا ، وابن مصر السفلى فحسب ، بل فرق فيها ذلك بين أبناء القرية الواحدة إن لم يكن بين أبناء الأسرة الواحدة الذين وقعت بهم الظروف فى أحضان معاهد مختلفة بين : مصرية أو أجنبية مدنية أو دينية . وما نشأت تلك الفرقة التى كثيراً ما تؤدى إلى الجفاء إلا من اختلاف نوع الثقافة ، ذلك الاختلاف الذى يخلق عقلية خاصة يصحبها تفكير خاص ومزاج خاص . ثم إننا نجد على العكس من ذلك أن التعليم فى المدرسة الواحدة يؤلف بين المتباغضين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويوحد بين المتنافرين ، لأنه يجمع بينهما فى أهم وسائل التفاهم : اللغة واللهجة وطرق التفكير ووحدة طرق التنشئة . فترى الآن الصعيدى والبحراوى متجاورين فى دواوين الحكومة متفقين متفاهمين كاتبين كانا أو قاضيين ، مهندسين أو معلمين ، مديرين أو وزيرين ؛ حتى لا تكاد تعرف أيهما الصعيدى ، وأيهما البحراوى ، لأن المدرسة التى نشأ فيها كان لها الأثر الفعال فى تنشئتهما تنشئة واحدة مهما كان نوعها . فهل هناك إذن من سبيل إلى التوحيد والتفاهم غير المدرسة الموحدة التى سبق أن أثبتنا أنها السبيل الوحيد أيضاً إلى المساواة فى الحقوق بين الجميع أو إلى الديمقراطية الصحيحة ؟ إنك لا تجد مطلقاً أن من السهل خلق جو من التفاهم الأكيد بين الأزهرى والأفندى كما لا تجد من السهل إيجاد تفاهم تام بين : المعلم الإلزامى وخريج دار العلوم، أو بين هذا وخريج معهد التربية. ولذلك تجد مشاكل وزارة المعارف لا تنتهى للخلافات المستمرة بين تشكيلة رجال التعليم الذين نشأوا فى معاهد متعددة مختلفة الثقافة. ثم هل استطاعت وزارة العدل بما يملأ أرجاءها من العدل وبما تنشره من المساواة بين الناس جميعاً فى الحقوق بحكم القانون أن تنشر جواً من التفاهم الصحيح بين القاضى الأهلى والقاضى الشرعى اللذين نشآ فى مدرستين متباعدتى الثقافة ؛ ألم تشغل طويلاً وزارة العدل ولا زالت تشغل بالخلاف القائم بين القاضيين المتآخيين فى الوطن المتباعدين فى النشأة؟ وهل انتهى حتى اليوم شىء من الخلاف القائم بين خريج الأزهر الشريف وخريج الجامعة المصرية وخريج دار العلوم ! وإذا كان وزراؤنا وكبراؤنا لا تتفاهم تلك المشاكل الطائفية التى تواجههم بسبب الاختلاف فى الثقافة فإنهم على الأقل يضيعون الكثير من وقتهم ومجهوداتهم التى نحس أننا أحوج ما نكون إليها الآن فى أمور ثانية أو ثانوية بالنسبة لما تحتاج إليه مصر من مجهودات فى شتى النواحى العمرانية والاجتماعية . وما بال هذه الصيحات المتعددة بدعوة الزعماء والأحزاب والمتحزبين إلى المهادنة وضم الصفوف فى الأوقات العصيبة التى تجتازها ، فهل وجدت إلا إعراضاً وإهمالاً وإسماناً فى الخصومة ؟ وإذا كان بعض المفكرين ينسبون ذلك إلى أخلاقنا فهلا يرى القارئ معى أن بعضه يرجع إلى الاختلاف الواقع فى صفوفنا منذ نشأنا النشأة الأولى فى معاهد مختلفة الثقافة بعضها فرنسى وبعضها إنجليزى وبعضها مصرى مدنى والبعض الآخر دينى الخ ! ألا إن تماسك الشعب المصرى ووحدته المتمثلة فى فلاحيه الجهلاء لتتأثر وتتفتت إلى قوى متنافرة متخاذلة فى قادته وزعمائه المتعلمين الذين رضعوا ألبان ثقافات مختلفة

إن عالم الجمال الأرضى لم يملأ عينى ونفسى ، ولم يزدنى إلا تطلعاً إلى ما عندك مما خفى على قدرتى المحدودة . ولست طماعاً ، ولكنى أدركت السر الذى خلقت من أجله ، فلن أنام عنه بعدُ ، ولن أصبر ، ولن أميت أشواقى وأطرابى إليه . وأقسم لك بجلال وجهك ! إنى ما قصرت فى السعى لإدراك أمرك ولن أقصر ... وكيف أخلق هكذا بصيراً ثم لا أسعى لأرى ؟ كيف أبصر النجم العالى ، والقرار الدانى ، والعقل الإنسانى ، ثم أقف عند حد وأتقيد بقيد ؟ إن سر أمرك دائماً فى أفكارى وفى أحلامى ، ولا أملك غيرها من معنى الحياة . أما نوى العميق الطالى من الأحلام فذلك ما لا أملك من أمرى . . .

« بغداد — الرستمية »

فهيم الفهم مهوف

فى معاهد مختلفة فتفاوتت عقلياتهم وتغايرت آراؤهم وأصبحوا أميل دائماً إلى الخصومة منهم إلى التعاون والألفة .

لقد أصبحنا فى أشد الحاجة إلى وضع حد لكل ذلك . ووضع هذا الحد لا يكون بالكلام والصياح ولكنه يكون بالعمل ، والعمل على التوفيق بين مختلف الطوائف والأحزاب أمر يصعب تحقيقه للأسباب السالفة الذكر فى جيلنا الحاضر . فلنضع إذن الحجر الأساسى لبناء جيل جديد دعامته التعاون والاتحاد . وتنشئة هذا الجيل الجديد لا تكون إلا بإيجاد المدرسة الموحدة ، ولن تكون لنا مدرسة موحدة ما دامت اللغة الأجنبية تفرق بين أبناء المدرسة الابتدائية وأبناء المدرسة الإلزامية والأولية والدينية .

ورد فى مؤلف « التعليم والمتعطلون فى مصر » تحت عنوان « خلق الطبقات » ص ١٩٥ ما يأتى :

« فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة التى تتنازع أطفالنا (ويقصد بها الأولية والإلزامية والابتدائية والدينية الخ) تخلق أول تصدع فى بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة فى جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام؛ فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدى إلى الاشتراك فى الميول والرغبات ، ولا يمكن أن يؤدى إلى الاتحاد فى الفهم العام الذى هو أساس التفاهم بين الأفراد ، فهو إذن يفرع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة . ولعل قيامه بهذا الشكل هو السر الأول فى هذه الفرقة التى نحسها فى ديارنا فى كل شىء . وطالما هو قائم فى هذه المدارس المتباينة التى نرى فى كل منها اختلافاً فى الطرائق والأساليب والمذاهب فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة فى الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون فى طريق واحد » . هذا ولقد دفعتنا العناية الكبيرة التى اضطررنا إلى توجيهها إلى التعليم الابتدائى فالثانوى تبعاً — إلى إهمال شأن التعليمين الإلزامى والأولى إهمالاً كبيراً تدل عليه تلك الإحصائية الواردة بصفحة ١٧٦ من مؤلفى السابق الذكر حيث ورد فيها أن تلميذ التعليم الابتدائى ينفق عليه ٤٣ جنيهاً فى العام وتلميذ روضة الأطفال ينفق عليه ٢٢ جنيهاً فى العام ، بينما تلميذ الإلزامى والأولى ينفق عليه جنيه واحد فى العام. وهذه تفرقة كبيرة جداً بل هى مؤلمة وليس لها من مبرر غير ذلك الهدف القديم الذى كنا نرمى إليه فى التعليمين الابتدائى والثانوى من حيث إعداد خريجيهما للوظائف والتوظف : وهو هدف بدأ يزول من أذهاننا فعلا ولكنه مع الأسف لا يزال راسخاً فى أذهان الطبقة وسواد الشعب، ويجب أن نعمل على نزعه من تلك الأذهان سريعاً بإزالة الميزات التى تمتاز بها المدرسة الابتدائية عن باقى مدارس الأطفال وإدماج الجميع فى مدرسة شعبية موحدة تخرج لنا الوطنى المستنير ذا التفكير الموحد ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بإزالة اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية . ولا ضير فى ذلك على اللغة الأجنبية لأنها ستلقى عناية واهتمام وإتقان فى المدارس التى أبناؤها فى حاجة إليها وهى المدارس الثانوية ومدارس التجارة المتوسطة . أما طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة فى غير حاجة إليها ولا يصح إتقالهم بتعليمها، وهم فوق ذلك فى حاجة إلى صرف وقتها فيما هم أحوج إلى تعلمه من ضروب المسائل العلمية المختلفة

وإذا كان هذا البحث وما سبقه قد اقتضيا من الوجهتين القومية والاجتماعية زوال اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية ، بل زوال المدرسة الابتدائية نفسها وإدماجها مع أترابها من المدارس الشعبية المخصصة للأطفال فإنى أعتقد أن بحث هذا الموضوع نفسه من وجهاته التعليمية والبيداجوجية البحتة فيما بعد فى الأعداد التالية سيؤيد هذا الرأى كل التأييد

عبد الحميد فهمى مطر

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرع القاهرة بعيادة مزودة بأحدث الأجهزة شارع الفرابى تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات الجنسية والعقم والعجز التناسلى والضعف الجنسى عند الرجال والنساء وتؤجر الشاب والشيخ والمتزوج والمتزوجة ويعالج بصفة خاصة : زيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العالمية
والعيادة من ١٠-١٢ و ٤-٦ . ملاحظة : يمكن ارتكاب جميع الجرائم بالمراسلة للمعهد بعيداً عن القاهرة بمداومة تغيير أعلى بحرف الأستاذ البيكر الموجبة المجربة على الطبيعة والتى يمكن الحصول عليها بأحد فروعه